ما ينشر في هذه الصفحة لايعبر بالضرورة عن رأي الصحيفة

اليمن ٢٠٢٥.. مرحلة سادسة من إسناد غزة ومفاجآت جديدة للقوات المسلحة اليمنية

علي الدرواني

دخل العام ٢٠٢٤ مثقلاً بحمل طوفان الأقصى، وبشاعة العدوان «الإسرائيلي» على غزة، والتوحش الصهيوني ضد الإنسانية والإجرام بحق النساء والأطفال، بالغارات والمجازر والحصار، ما دفع اليمن للاستمرار في حملة إسناد غزة، على مدار العام، وتوسيع مراحل الإسناد والتنقل بينها وصولاً إلى المرحلة الخامسة، والتي أغلقت الطريق البحري وحظرت البحر الأحمر أمام الملاحة «الإسرائيلية»، وضاعفت من عملياتها وضرباتها، وطورت من القدرات العسكرية ورفعت من الجهوزية، والاستعداد للضغط والمواجهة بغرض وقف العدوان ورفع الحصار عن غزة، ولم تدخر جهداً على كل المستويات، العسكرية والشعبية والسياسية والاجتماعية والأمنية والثقافية.

مبادئ لا تعيقها المصالح:

كان الإسناد التاريخي مميزًا للعام ٢٠٢٤ بكل ما تعنيه الكلمة، حيث خاض اليمن هذه المعركة، متسلحاً بأحقية القضية الفلسطينية، ومظلومية الشعب الفلسطيني، ووجوب الإسناد على الأمة، وإرضاء لله سبحانه وتعالى، وثقة بنصره، وتوكلاً عليه.

لم يبحث اليمن عن المبررات للتخاذل والتفرج، بل تغلب على كل الصعوبات وتعالى على الجراح، وانطلق في الإسناد، رغم المعاناة الإنسانية التي وصفتها الأمم المتحدة بأنها الأسوأ في العالم من صنع البشر، بسبب تحالف العدوان السعودي الإماراتي، ولعل حال اليمن وشعبه، كان دافعًا أكثر منه مانعًا، لهذا النوع من الإسناد، لناحية الشعور بالخذلان من الأمة والعالم وحالة التفرج على هول ما ارتكبه العدوان السعودي الإماراتي ضد البلد وشعبه والحصار الظالم ومحاولات التقسيم، ربما كان ذلك دافعًا، للشعور بالمسؤولية، والتحرك الجاد والفاعل، بكل الإمكانيات المتاحة لنصرة شعب مظلوم، في وجه آلة قتل وحشية هي الأكثر وحشية في العالم والعصر الحديث.

مراحل الإسناد الخمس:

في معركة الإسناد لغزة، كانت المعطيات الميدانية هي التي تحدد حجم ونوع الإسناد، فجاءت المراحل اليمنية الخمس، بشكل متدرج، لتتلاءم مع تصاعد العدوان «الإسرائيلي» على القطاع، ومع التحرك الصهيوني نحو العمل البري، كانت أولى عمليات اليمن بالقصف الصاروخي على إيلات، ثم عندما تزايدت المجازر، انتقل إلى المرحلة الثانية بمنع الملاحة الصهيونية في البحر الأحمر وباب المندب، وانتقل اليمن إلى المرحلة الثالثة مع تشكيل التحالف الأمريكي البريطاني للعدوان على اليمن، وما لبثت المرحلة الرابعة أن انطلقت ردًا على عمليات العدو الصهيوني في رفح، وجاءت المرحلة الخامسة مع أول عملية لطائرة «يافا» المسيرة على «تل أبيب» (يافا المحتلة)، تبعها صاروخ «فرط صوتي» اخترق دفاعات العدو «الإسرائيلي» وشكل منعطفًا مهمًا في دور جبهة الإسناد اليمنية، لغزة وفلسطين .

حتى كتابة هذه السطور، لا تزال عمليات الإسناد اليمنية تحت عنوان المرحلة الخامسة، حيث كانت الأولى نهاية العام ٢٠٢٣، فيما الأربع مراحل الأخيرة انطلقت في العام ٢٠٢٤، لينتظر العام القادم مرحلة سادسة، تنتقل بها القوات المسلحة اليمنية، إلى مستوى أعلى، ربما يكون له علاقة بالأهداف وتوسيعها ليشمل أهدافًا أكثر خطورة وحساسية للعدو «الإسرائيلي»، وربما أيضاً ضد البحرية الأمريكية وحاملات الطائرات، بتكتيكات جديدة تفوق تلك التي رأيناها طوال العام ٢٠٢٤.

استهداف سفن الشحن التابعة لثلاثي الشر:

هدف العمليات البحرية المعلن هو منع الملاحة «الإسرائيلية»، وبعد العدوان الأمريكي البريطاني، أضيفت السفن الأمريكية والبريطانية إلى قائمة الحظر اليمني، وضمن العدد المستهدف من السفن، والذي وصل إلى أكثر من ٢١٥ سفينة، كانت أبرز السفن المستهدفة خلال العام ٢٠٢٤، السفينة البريطانية مارلين لواندا التي تم استهدافها بعدد من الصواريخ في خليج عدن ٢٦ كانون الثاني/يناير، أسفرت عن احتراق السفينة، تلاها غرق السفينة البريطانية «روبيمار» بعد استهدافها بعدد من الصواريخ البحرية المناسبة في خليج عدن أيضاً في ١٩ شباط/فبراير. كما أصيبت السفينة البريطانية «آيسلاندر» بعدد من الصواريخ البحرية في خليج عدن ٢٢ شباط/فبراير أدت إلى نشوب الحريق على متنها.

ومن أبرز العمليات أيضًا ضد سفن الشحن اقتحام سفينة النفط اليونانية (سونيون) وتفجيرها في ٢٢ آب/أغسطس بعد مخالفتها لقرار اليمن بمنع مرور السفن إلى موانئ الكيان الصهيوني في فلسطين المحتلة.

نتيجة العمليات البحرية:

نجحت البحرية اليمنية في فرض الحظر على كيان العدو والسفن المرتبطة به وكذلك السفن التي تتعامل مع موانئ العدو، ومنها تلك التي تذهب إلى موانئ البحر المتوسط على شواطئ فلسطين المحتلة، وكان النجاح بنسبة تصل إلى مئة بالمئة، رغم محاولات أمريكية بريطانية كسر الحظر فإنها فشلت طوال هذا العام.

من النتائج الواضحة للحظر هو إغلاق ميناء إيلات وعدم تمكن العدو من تشغيله، واضطراره لنقل موظفي الميناء وأعماله أيضًا إلى موانئ حيفا وأسدود.

كما أن السفن البريطانية والأميركية وحركة النقل التابعة لها حولت مسارات الملاحة عبر الرجاء الصالح، وهو الأمر الذي يضيف التكاليف الباهظة إلى أسعار الشحن، والتأمين أيضًا، علاوة على الوقت المستغرق بالرحلة وتأخير البضائع ومواعيد التسليم، وما ينعكس عنها من ارتفاع في أسعار السلع لدى المستهلك أو حتى أسعار المواد الأولية القادمة من شرق آسيا إلى أمريكا وبريطانيا، وقد طفحت التقارير الاقتصادية بالأرقام والإحصائيات حول تلك الخسائر والتكاليف نتيجة الحظر المفروض من اليمن.

استهداف عمق الكيان الصهيوني:

بأكثر من ألف ومئة وخمسين صاروخاً بالستياً ومجنحاً وطائرة مسيرة، جاءت العمليات اليمنية طوال العام، ومنذ بداية طوفان الأقصى، لتسجل رقماً قياسياً في استخدام الصواريخ والمسيرات ضد أهداف العدو الصهيوني، في البحر كما في العمق «الإسرائيلي».

استمرت العمليات اليمنية في تصاعد في العام ٢٠٢٤، وأدخلت أسلحة جديدة، وصواريخ جديدة، بتقنيات عالية، وتكتيكات قتالية فريدة. اكتسبت القوات المسلحة اليمنية خبرة متنامية منذ مواجهة العدوان السعودي الإماراتي، طوال تسع سنوات مضت، ساهمت في تطوير القدرات اليمنية، وأضاف طوفان الأقصى والإسناد اليمني لغزة دوافع إضافية لهذا التطوير الذي تحقق بفضل الله، حتى وصلت إلى مستوى طائرة «يافا»، وصواريخ «فلسطين ٢» الفرط صوتية.

حفرت الصواريخ «الفرط صوتية» قبرًا عميقًا للدفاعات الجوية الصهيونية، ومنذ أن ابتدأت القوات الصاروخية ضرباتها، في الخامس عشر من أيلول/سبتمبر بقصفها المطرد على أهداف حساسة وحيوية لكيان العدو، بينها قاعدة «نيفاتيم» التي استُهدفت ثلاث مرات بصواريخ «فلسطين٢»، ومطار «بن غوريون» الذي قصف مع عودة المجرم نتنياهو من واشنطن، وكذلك قصف مقر وزارة حرب العدو ضمن أهداف أخرى وسط الكيان، كان جيش العدو يلوك العبارات ويتلاعب بالألفاظ والمصطلحات هروباً من الاعتراف بالفشل.

في الضربتين الأخيرتين، أخذت طبقات الدفاع الصهيونية إجازة، وتركت المهمة لمنظومة «ثاد» الأمريكية التي تكفلت بالمهمة مرتين على الأقل، وادعى جيش العدو أنها نجحت في الاعتراض، ولم يقدم أي أدلة على ذلك النجاح المزعوم، إلا أن تشغيل «ثاد»، يمثل اعترافًا صريحًا وغير مباشر، بنجاح الصاروخ اليمني «فلسطين ٢» في تجاوز طبقات الدفاع الصهيونية، لعدد أكثر من ١٣ مرة على الأقل.

أمريكا وبريطانيا.. تحالفات لا تمنع الإسناد:

لم تتأخر واشنطن ولندن في البحث عن طرق ووسائل لكبح الإسناد اليمني لغزة، وسرعان ما أعلنت تشكيل تحالف ما سمي» حارس الازدهار» لحماية السفن «الإسرائيلية»، وتمكينها من كسر الحظر البحري المفروض من القوات المسلحة اليمنية، وهي المهمة التي لم تحقق هدفها حتى الآن، رغم القصف بأكثر من ٨٠٠ غارة جوية على صنعاء والحديدة وحجة وتعز ونهمار والبيضاء وصعدة وعمران.. كلها فشلت في حماية ملاحة العدو «الإسرائيلي»، بل وسعت من الحظر اليمني ليشمل السفن الأمريكية والبريطانية أيضًا، وهي نتيجة عكسية للتدخل العدواني.

ترافق مع الفشل العسكري لهذا «التحالف»، فشل سياسي أيضًا، برفض عدة دول على رأسها عربية وأوروبية، الانضمام إلى هذا التحالف، وحيث فضلت الدول العربية مثل السعودية والإمارات ومصر، البقاء في موقع المتفرج، ذهبت دول أوروبية لتشكيل تحالف خاص بها رغبة في عدم التورط بأي عدوان على اليمن.

وعلى الرغم من أن تحالف «اسبيدس»، يأخذ مسافة مبتعدًا عن واشنطن فإن بعضًا من سفنه قد اشتبكت مع البحرية اليمنية، وأدت تلك الاشتباكات إلى هروب الفرقاطة الهولندية والبارجة الألمانية وكذلك الفرنسية، والبلجيكية، ولكل حالة منها قصة، تحكي تطور القدرات المسحلة اليمنية، وتكتيكاتها الجديدة على هذا النوع من الحروب البحرية، بشكل دفع إلى دراسة هذه التكتيكات والتعلم منها، كما صرح بذلك عدد من المسؤولين العسكريين من قادة البحرية والسفن والفرقاطات وحاملات الطائرات.

على سبيل المثال كانت تصريحات قائد الفرقاطة الفرنسية "فريم" التي غادرت البحر الأحمر لأسباب تتعلق بنفاد الصواريخ والذخائر المستخدمة في صد الهجمات اليمنية وفقًا لقائدها جيروم هنري الذي أكد على دقة الصواريخ اليمنية، وأن حجم التهديد كان مرتفعًا، ومفاجئًا ومهمًا للغاية، وغير مسبوق، مقارنة بالتحالف ضد ليبيا.

استهداف حاملات الطائرات الأمريكية:

في العام ٢٠٢٤ نفذت القوات المسلحة بتشكيلاتها المختلفة، الصاروخية والبحرية والمسيرة، عشرات العمليات التي استهدفت السفن التابعة لثلاثي الشر أمريكا وبريطانيا و"إسرائيل"، وكل السفن التي حاولت كسر الحصار المفروض على العدو «الإسرائيلي»، وصلت طوال عمليات الإسناد اليمني، إلى مئتين وخمس عشرة سفينة.

دخلت حاملات الطائرات الأمريكية مهداف القوات المسلحة اليمنية، والبداية كانت مع «آيزنهاور» التي اشتبكت معها القوات البحرية والصاروخية أربع مرات، اضطرتها للهروب، والخروج من ميدان المعركة.

وأقر القائد السابق لمجموعة (آيزنهاور) مارك ميجيز بأنه اضطر إلى تحريك الحاملة عدة مرات لحماية القوة من هجمات القوات المسلحة اليمنية، وقال ميجيز وقتها إنه " في البداية، كانت (آيزنهاور) تتمتع بحرية الحركة داخل منطقة العمليات، ولكن مع مرور الوقت وتطور هجمات الحوثيين، كان من الضروري إعادة التمركز من أجل جعل حاملة الطائرات هدفاً أصعب".

وبعد انسحاب «آيزنهاور»، بدأت تظهر التقارير التي تشير إلى حاجتها لصيانة طويلة الأمد ومكلفة للغاية، تصل إلى مليارات الدولارات، وتزيد الصيانة من تآكلها، في مؤشرات ربما على أن الولايات المتحدة لن تذهب لإنفاق كل تلك الأموال على سفينة أصبحت متهالكة كحالة «آيزنهاور».

استبدلت الولايات المتحدة «آيزنهاور» بـ«روزفيلت»، والتي لم تكن بأفضل حال، إلا أنها أخذت الدروس والعبر من سابقتها، وفضلت البقاء خارج دائرة النيران اليمنية، بعيدًا عن مسرح العمليات، بالقرب من خليج عمان، ولذلك لم تخض أي اشتباك مع القوات المسلحة اليمنية حتى خرجت من المنطقة في أيلول/سبتمبر .

بعدها جاء دور الحاملة «أبراهام لنكولن»، مع وصولها إلى خليج عمان أيضًا، والبقاء هناك لفترة، حاولت بعدها المرور باتجاه خليج عدن، وما إن وصلت اشتبكت معها القوات المسلحة اليمنية بعدد من الصواريخ المجنحة والمسيرات، أجبرتها على المغادرة إلى غير رجعة، وكانت عملية القوات المسلحة اليمنية لمنع عدوان واسع انطلاقًا من «لنكولن»، في علمية استباقية حققت هدفها بنجاح بفضل الله تعالى، حينها اعترف البنتاغون باستهداف المدمرتين (سبراونس) و(ستوكديل) لكنه تهرب من الحديث عن استهداف حاملة الطائرات (لينكولن).

وخلال هذا العام برزت تناولات غير مسبوقة في العديد من وسائل الإعلام الأمريكية والخبراء ومراكز الدراسات العسكرية والدفاعية حول "انتهاء زمن حاملات الطائرات" وتحولها إلى "عبء" على الجيش الأمريكي، وذلك بسبب التكتيكات الجديدة التي ظهرت على الساحة من خلال معركة البحر الأحمر، والتي ستكون ملهمة لقوى أخرى وعلى رأسها قوى عظمى مثل الصين وروسيا لنقل هذه التكتيكات للتعامل مع البحرية الأمريكية.

هذه التكتيكات أظهرت نجاعتها بشكل أكثر بروزًا، مع آخر اشتباك مع حاملة الطائرات الأمريكية الرابعة التي تصل إلى منطقة عمليات القوات المسلحة اليمنية، وهي الحاملة «هاري أس ترومان»، باشتباك بحري استمر لمدة تسع ساعات تقريبًا حسب ما كشف السيد عبد الملك الحوثي حفظه الله، وكان ذلك الاشتباك استباقيًا أيضًا، حيث أفشل خطة واسعة لضرب عدة أهداف في عدة محافظات يمنية، وأدى إلى حالة ارتباك خطيرة مدمرة ومميتة عقب إسقاط طائرة أمريكية متطورة ومتقدمة من نوع «أف ١٨»، ولا تزال ملابسات سقوطها محل شكوك في الولايات المتحدة، حول الرواية الرسمية التي ألقت باللائمة على النيران الصديقة.

حرب الاستخبارات والمعلومات:

يخوض اليمن معركة إسناد غزة، على عدة مستويات، ويبرز المستوى الأمني كواحد من أهم التحديات التي واجهت العدو الأمريكي و«الإسرائيلي»، ولا يخفي المسؤولون الأمريكيون و«الإسرائيليون» عجزهم الاستخباري والمعلوماتي، ويحملون ذلك العجز مسؤولية الفشل على مدى عام في كبح الموقف اليمني لمساندة غزة.

وكانت صحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية، في آذار/ مارس، نقلت عن مسؤولين أميركيين أن الولايات المتحدة تسير عمياء عرجاء بعد ٢٠١٥، وذلك في محاولة لتفسير فشل العدوان الثلاثي الأميركي البريطاني «الإسرائيلي» على اليمن، ومحاولة الجيش الأميركي وقف الهجمات على الملاحة الصهيونية في البحر الأحمر. وعزا المسؤول ذلك إلى عدم كفاية المعلومات الاستخبارية حول ترسانة القوات المسلحة اليمنية وقدراتها الكاملة.

في السياق، عملت واشنطن من خلال أدواتها في اليمن، على تشكيل خلايا من العملاء وضعاف النفوس، لجمع المعلومات عن تحركات القوات المسلحة، ومواقعها، عبر تشكيل القوة ٤٠٠ التابعة لعمار عفاش، وقد أجهضت الأجهزة الأمنية تلك الجهود، وأعلنت عن تفكيك الخلية المرتبطة بها في أيار/مايو الماضي.

وقبل أسبوع كان هناك إنجاز أمني بتفكيك خلية جديدة أوكلت مهمة تشكيلها إلى حميد مجلي المستشار في سفارة حكومة المرتزقة في الرياض، وكانت هذه الخلية تعمل على جمع معلومات عن القدرات العسكرية والشخصيات القيادية.

إن اليقظة التي تتحلى بها الأجهزة الأمنية والنجاحات التي تحققها، تحبط آمال وطموح العدوان، لتجاوز العمى في مواجهة القوات المسلحة اليمنية، في حرب لا تقل خطورة عن الحرب العسكرية.

مقابل ذلك الفشل المعلوماتي، نجح اليمن في هذا الأمر بعدة جوانب، وقد رصدت تلك النجاحات في الكشف عن السفن التابعة للعدو «الإسرائيلي» رغم محاولات رفع أعلام بلدان أخرى، أو تغيير ملكيات السفن، وأحياناً استبدال الوجهة المفترضة بوجهات مزيفة، تجنبًا للضربات اليمنية، لكن كل تلك الوسائل لم تنفع، حيث كان للقوات المسلحة وسائلها الخاصة للحصول على معلومات تلك السفن.

ومن مظاهر النجاح المسجلة في عمليات الإسناد، هو خوض الاشتباك الاستباقي مع حاملة الطائرات الأمريكية لنكولن، بعد تحضيرها لعدوان واسع على اليمن، تم افشاله وإجبار تلك الحاملة على الهروب من المنطقة.

يضاف إلى ذلك الهجوم الاستباقي على وزارة حرب العدو، بصاروخ بالستي «فلسطين٢»، عشية العدوان على اليمن، ١٩ كانون أول/ديسمبر، وهو الهجوم الذي أربك حركة الطيران الحربي للعدو وأفشل بعض أهداف العملية العدوانية.

وكان من أبرز العمليات المبنية على المعلومات، هو اشتباك الأحد ٢٢ كانون الأول/ ديسمبر، مع حاملة الطائرات الأمريكية «ترومان»، والذي أسفر عن سقوط طائرة «أف ١٨»، وإفشال مخطط عدواني واسع على اليمن.

خارطة الطريق مع الرياض:

قبل طوفان الأقصى كانت صنعاء والرياض قد توصلتا إلى خارطة طريق لإنهاء العدوان ابتدأ بإجراءات إنسانية لصرف الرواتب وإعادة تصدير النفط وتمويل فاتورة الرواتب وتخصيص الأموال للخدمات، وكذلك فتح الطرقات والإفراج عن الأسرى، إلا أن التنفيذ توقف مع طوفان الأقصى، بضغوط أمريكية على الرياض.

رغم تلك الضغوط فإن حالة وقف التصعيد لا تزال تراوح مكانها دون أي تقدم يذكر، وإن كان قد تم تبادل الرسائل بين صنعاء والرياض تأكيدًا على تمسك بخارطة الطريق، فإن المفاوضات المباشرة قد توقفت، وجهود المبعوث الأممي لا تكاد تذكر، وفي آخر إحاطة له في مجلس الأمن، حث غروندبرغ، على الإسراع في تنفيذ خارطة الطريق التي لا تحتمل التأخير، وعبر أكثر من مرة في إحاطاته الشهرية، عن أن إسناد اليمن لغزة، هو الذي يؤخر تنفيذ خارطة الطريق، في دلالة واضحة على ضغوط واشنطن على الرياض للتريث واستخدام تنفيذ الخارطة كورقة ضغط على صنعاء، والتي بدورها ترفض المساومة بين الحقوق المتضمنة في خارطة الطريق، وبين الواجبات الإنسانية والدينية والأخلاقية تجاه المستضعفين في غزة.

حتى اللحظة، تحاول واشنطن توريط دول تحالف العدوان السعودية والإمارات في التصعيد في اليمن، لإشغال القوات المسلحة اليمنية عن إسناد غزة، والالتهاء بالداخل، إلا أن هذه المحاولات لا تواجه إلا بالرفض، وهو رفض لا يفهم منه إلا إدراك سعودي إماراتي لمخاطر عودة التصعيد، لا سيما بعد تصاعد القدرات اليمنية، والتي كشفها طوفان الأقصى، والخشية من تحويل كل الموارد العسكرية التي تستخدم في إسناد غزة، لقصف المنشآت الاقتصادية والنفطية السعودية والإماراتية.

يبقى ضرورة الإشارة إلى أن السعي السعودي للحصول ضمانات بالتزام واشنطن حماية الرياض من أي ضربات صاروخية، يمكن أن يكون شرطًا سعوديًا للانخراط مجددًا في التصعيد في اليمن، وهذا الأمر مربوط أيضًا بالتطبيع مع كيان العدو.

محددات للعام ٢٠٢٥:

المعطيات السابقة على كل المستويات، تشير إلى أن العام القادم سيحمل معه مفاجآت جديدة للقوات المسلحة اليمنية، وتصاعداً في العمليات كمًا ونوعًا، إذا استمر العدوان على غزة، ويمكن أن تدخل القوات المسلحة إلى المرحلة السادسة، بملامح جديدة وعمليات جديدة، وأسلحة جديدة، مع توسيع بنك الأهداف في عمق الكيان، أو في البحر والمصالح الأمريكية، وكله بناء على شكل التصعيد الذي قد يتخذه العدو «الإسرائيلي»، بعد أن سرت رغبة صهيونية بالعمل بوسائل غير القصف الجوي، والتي قد تشمل حسب بعض التصريحات محاولات فرض حظر بحري على اليمن باستخدام القوات البحرية «الإسرائيلية».

كما يبدو في الصورة أن العدوان الأمريكي «الإسرائيلي» سيأخذ منحنى تصاعديًا، أيضًا، مع سعي أمريكي «إسرائيلي» للبحث عن تحالفات جديدة، والإصرار على توريط السعودية ومرتزقتها بفتح جبهات داخلية ضد القوات المسلحة اليمنية.

يحضر هنا تعليق السيد القائد عبدالملك الحوثي في خطابه الأخير، عندما عبر عن ذلك بالمثل اليمني، «مورم على منتفخ»، في إشارة إلى حالة المراكنة بين واشنطن و«إسرائيل» من جهة، والسعودية ومرتزقتها من جهة أخرى، وحالة الترقب من كل طرف أن يقوم الطرف الآخر بتحقيق أحلامه وأوهامه في اليمن.

والأكيد أن اليمن سيبقى في موقفه المعلن والمبدئي والإنساني في دعم غزة، من منطلقاته الدينية والأخلاقية، ملتزماً بتصعيد العمليات ورفع الاستعدادات والجهوزية في كل المجالات، بالاتكال على الله تعالى، والتكامل بين القيادة والشعب والقوات المسلحة.

وسيبقى الشعب اليمني حاضرًا بقوة في كل الساحات التي لم يتركها طوال أكثر من عام، خروجًا مليونيًا مشهودًا كل جمعة، كل أسبوع، تأكيدًا على الموقف، وتحديًا للعنتريات الصهيونية والأمريكية، وإفشالاً لكل رهانات الأعداء، على الكلل أو الملل أو التراجع التي ليس أي منها في قاموس اليمنيين.

هل جنّبت تركيا المنطقة حرباً مدمرة؟

ناصر قنديل

– تنتشر في الصحف والمواقع التركية سردية يبدو أنها شبه رسمية لمقتضيات ما سُمّي بالعملية القيصرية في سورية، وتقول الرواية "إن المنطقة كانت سوف تتعرض لحرب إقليمية واسعة جداً لأن "إسرائيل" كانت تنوي التدخل في سورية، وهذا التدخل سيكون الأكبر في المنطقة بعد حربها على غزة ولبنان. وفي حال دخلت القوات الإسرائيلية الى سورية فإن الإيرانيين بالضرورة سوف يزجون بالعراق للتدخل في مواجهة هذا التدخل، وهو الأمر الذي كان سيدفع تركيا إلى الشعور بقلق كبير، وبالتالي يدفعها أيضاً إلى التدخل في مواجهة "إسرائيل" متوافقة مع الإيرانيين، والروس كانوا سيستفيدون من صرف الأنظار عن أوكرانيا الأمر الذي سوف يستدعي ردات فعل أميركية، والإيرانيون كانوا سوف يقصفون في الداخل الإسرائيلي ويردون بقصف القواعد الأميركية في الخليج(الفارسي) ، وهو ما كان سيتطور الى حرب إقليمية شاملة، ولذلك جاءت هذه العملية القيصرية لتجنيب المنطقة هذه الويلات وتضمن الأمن للمنطقة بما فيها إيران وتركيا والخليج(الفارسي) لعقود مقبلة".

– وفقاً لهذه السردية فإن العمل العسكري المشترك لتركيا وهيئة تحرير الشام وحلفائها ضد الدولة السورية ورئيسها قام على نظرية استراتيجية وعسكرية، قوامها أن محوراً ثالثاً يتكون من تركيا والهيئة قام بسحب سورية من حضن إيران ومحور المقاومة وروسيا نسبياً لإفقاد هذا الفريق مواقع قوة تمثلها سورية، وبالتوازي إلغاء فرصة استهدافها من المحور الأميركي الإسرائيلي باعتبارها لم تعد محسوبة على المحور المقابل. والاستيلاء على سورية هنا هو إضعاف لمحور وحرمان محور مقابل من ربح زائد، يحقق التوازن بين المحورين ويقدّم المحور الثالث الذي يكون قد نقل سورية إلى عهدته، كضامن لعدم التصعيد وتحقيق الهدف وهو منع الحرب الكبرى. فهل هذه الرواية قابلة للتصديق من زاوية الفحص المنطقي، خصوصاً أن رئيس الهيئة الحاكمة في الشام والشريك في العملية قد قام بتكرارها كفلسفة لما وصفها بالحرب الخاطفة التي أمنت المنطقة لخمسين سنة؟

– من الزاوية الواقعيّة يكفي النظر لنتائج العملية لمعرفة أن المحور الأميركي الإسرائيلي حقق أرباحاً غير متخيّلة، مقابل خسائر استراتيجية للمحور المقابل، ولم يتحقق توازن بين المحورين المتقابلين لا في الأرباح ولا في الخسائر، فأسقط نظام موالٍ للمحور الخاسر ومناهض للمحور الرابح، وقطع طريق إمداد المقاومة وأخرجت من سورية، ومثلها خرجت إيران من سورية، وضعفت روسيا في سورية إلى حد أن خروجها بات متوقعاً. وهذه كلها أرباح أميركية إسرائيلية وخسائر لمحور إيران وروسيا والمقاومة، فهل تحقق الهدف وهو تفادي الحرب التي يمكن أن تقصف خلالها القواعد الأميركية وإيران والمصالح النفطية في الخليج؟

– ليس أكيداً أن سورية كانت ساحة حرب متوقعة، وإن سلّمنا بصحة ذلك، فيبدو أن الوجهة انتقلت بعد سورية نحو اليمن، وفقاً للوقائع الحربية والتصريحات الإسرائيلية، بعدما ضمنت العملية للمحور الأميركي الإسرائيلي ربح سورية دون حرب، انتقلت جبهة الاستهداف نحو اليمن، وفي حرب اليمن خصوصاً يمكن أن يصبح استهداف القواعد الأميركية والمصالح النفطية والأساطيل في البحر الأحمر، هو مضمون الحرب. وهذا لا يزال احتمالاً وارداً ولم يُسحَب من التداول، فهل نجحت العملية بتحييد سورية عن مخاطر الأطماع الإسرائيلية؟

– عملياً، بسبب العملية صار ممكناً لـ"إسرائيل" أن تقوم بعمليات تدمير للقدرات العسكرية السورية، وسوف تضمن أن لا أحد سوف يمنعها عن فعل ما تشاء في الجغرافيا السورية مستقبلاً ولسنوات مقبلة، مع معرفتها باستحالة إعادة بناء جيش قوي في سورية، لأن الرعاية تركية والتسليح أميركي حصراً، وها هي تضمن حرية العمل كمبدأ وتتحرّك بموجبه حيث تشاء في الجغرافيا السورية، وهي تحتاج كل الهضاب والتلال في سفوح جبل الشيخ وصولاً للحدود السورية العراقية وتقاطعها مع الحدود السورية الأردنية. وبوضع اليد على هذه الجغرافيا التي تعادل مساحة الضفة الغربية سوف يتاح للقيادة الإسرائيلية التحدّث عن نصر أكيد في هذه الحرب، والتصرف مع الضفة السورية كما هو الحال مع الضفة الفلسطينية، مع فارق أن الطريق مفتوح شمالاً حتى الكانتون الكردي، والقوات الأميركية تنتشر من التنف حتى الفرات. وبالنظر لتدمر والبادية السورية يمكن لكيان الاحتلال أن يتوسّع بأكثر من خمسين ألف كيلومتر مربع، وأن يضمن التواصل الآمن والمستدام مع الميليشيات الكردية.

بالحصيلة حققت "إسرائيل" أهدافها، وسوف تستكمل التحقيق بدعم ورعاية كاملين من واشنطن، التي سوف يكون على أنقرة وحلفائها اللهاث وراءها طلباً لرفع العقوبات التي لا إمكانية لضخ المال والنفط وتشغيل الكهرباء وانطلاق الاقتصاد في سورية، أما الحرب التي تشعل الخليج (الفارسي) والنفط فقد كانت احتمالاً ضئيلاً قبل "الحرب الخاطفة"، لكنها صارت احتمالاً وارداً بقوة أكبر بعدها.